عبد الباقي نظام الدين النائب
والوزير السوري السابق

قضيتنا الوطنية في سورية ان نبعد الجيش عن التمزق

بقلم زهير المارديني

عبد الباقي نظام الدين

كتابة عن الرجل فكرة راودتني منذ ان بدأت اكتب عن الناس .. الناس ، وقد دفعني الى تنفيذها اليوم انها فكرة جديدة ، والجديد يستهوي الباحثين عن المعرفة بصرف النظر عن طبيعة هذا الجديد وقيمته ! ترددت كثيرا قبل ان اقتحم على الرجل عزلته التي فرضها على نفسه منذ ان اغلق (المجلس النيابي) السوري ابوابه في اواخر الخمسينات ، ولزم داره ، فقد بدا لي انني ساحرق كل مراكبي اذا اردت ارضاء الحقيقة ، وتذكرت قول الفيلسوف الفرنسي القديم : (ان قول الحق لم يدع لي صديقا) . واخاف بدوري ان افقد صداقة الرجل ذلك لانني لم القاه منذ ما يزيد عن سنوات عشر ، ولا ادري مدى تقبله او رفضه للحديث عنه في هذه الظروف المدمرة التي تجتازها الشعوب والافراد ! لقد كان الرجل يبتعد عن الاضواء وهو نائب ، يلملم المستقلين ويدفعهم لاثبات وجودهم .. وهو وزير يجاهد باصرار وعناد لانقاذ سفينة الحكم « الشرعية » من الغرق المحتم .. وهو قطب نيابي مسموع الكلمة (يصنع) الكتل البرلمانية لاقامة التوازن بين الاحزاب المتصارعة داخل المجلس وخارجه ، وليمنع هذه الاحزاب من دخول المعارك الضارية مع القوى العسكرية الشابة التى بدأت تشب عن الطوق وتسيطر على المراكز المؤهلة لغيرها من المتمرسين بشؤون السياسة والحكم ! وهذه القوى – كما أوضحت في نهاية الحلقة الأولى المنشورة في العدد السابق – قد رأت في اغتيال العقيد عدنان المالكي المناسبة الصالحة لتصفية خصومها ، ولكن ما كان ينقصها هو إصدار مرسوم باعلان الاحكام العرفية ، وكان عبد الباقي نظام الدين آنذاك وزيراً

اين هم الآن؟

طالب العسكر باعلان الاحكام العرفية فصرخ رئيس الجمهورية برئيس وزرائه: هل تريدون اعطاء الظالمين حجة للامعان في ظلمهم؟

طلبت القيادة العسكرية من الحكومة اصدار مرسوم اعلان الاحكام العرفية ، وكانت اكثرية الوزراء تتجه الى الموافقة لان (العين لا تقاوم المخرز) وفق التعبير المتداول يومها .

كان النقاش يجري داخل مجلس الوزراء الذي تراسه صبري العسلي ، والرجل يتابع باهتمام مدى تردي مستوى المناقشات لدى اناس يفترض فيهم الترفع والتمسك بالعدالة في لحظات الخطر ، وقبل ان يذهب الى اجتماع الحكومة قال لي :

ـ اذا اقرت الحكومة هذا المرسوم فسأنسفها من الداخل بتقديم استقالتي . القلة من الوزراء الذين عارضوا المرسوم حاولوا معرفة موقف الرجل من الامر ، فلم يفصح لهم عن خطته ، كما انه لم يبلغهم الاتصالات التي اجراها من منزله قبل حضوره اجتماع مجلس الوزراء ، واحتدم النقاش بين صبري العسلي من جهة وبين لبون زمريا زميل العسلي في الحزب الوطني ، من جهة ثانية ، حول مرسوم اعلان الاحكام العرفية فاذا بجرس الهاتف يرن فأمسك صبري العسلي بالسماعة وسرعان ما اعطاها الى ابي احسان قائلا :

ـ فخامة الرئيس يريد التكلم معك .

سمع الوزراء الرئيس الجليل هاشم الاتاسي يقول للرجل على مسمعهم : احضر حالا مع صبري وحدكما ، اريدك ان تكون شاهدا على ما اقوله لابني شجاع (صبري العسلي) .

دخل (ابو شجاع) و (ابو حسان) غرفة الرئيس الجليل بالقصر الجمهوري فاذا به يفاجئهما بغضب لم يكن ليتوقعانه .

ـ ماذا تبحثون في مجلس الوزراء يا مجانين .. اعلان الاحكام العرفية اليس كذلك ؟!

.. ترى ماذا تفعلون لو قتلت انا رئيس الجمهورية .. هل تعلنون الحرب على القاتل واهله وقومه ؟ حرام .. الا يكفي هذا الشعب ما يلاقيه من تصرفاتكم ؟ الا يكفيه سكوتكم على اعتقال الابرياء وتعذيبهم دون مسوغ قانوني .. وها انتم الان تريدون اعطاء الظالمين حجة للامعان في ظلمهم ..

ثم التفت الرئيس الجليل الى صبري العسلي قائلا :

ـ ما هذا الموقف الجبان يا صبري ، هل صحيح انك موافق على اعلان الاحكام العرفية بينما زميلك في الحزب والوزارة يبلغني انه سينسحب من الحزب والحكم اذا اقر مرسوم اعلان الاحكام العرفية .

حرام .. حرام يا صبري الا تخاف الله في وطنك ؟ هل انت مجنون قل لي ؟ اسمع يا صبري ان هذا المرسوم لن يمر الا على جثتي ..

قال الرئيس الجليل هاشم الاتاسي عباراته الغاضبة هذه ثم التفت الى الرجل وقال :

ـ يا ابا حسان انا اعرفك شريفا وصادقا . اذهب الان الى مجلس الوزراء مع صبري وبلغه ماذا سمعتما مني ..!

وطوى مرسوم اعلان الاحكام العرفية ، دون ان يعلم حتى اصدقاء الرجل من الوزراء والنواب حقيقة موقفه من هذا الموضوع ..

باستثناء دولة الاستاذ رشدي كيخيا (مد الله في حياته) الذي سمع التفاصيل من (ابي احسان) .

كنت قد علمت ببعض ما جرى في القصر من الوزير لبون زمريا فذهبت الى الرجل وقلت له :

ـ ان تواضعك وابتعادك عن الاضواء محسوب عليك يا ابا احسان ، انك مفرط في التواضع الى حد مثير ، وقلبك الطيب محسوب عليك ، الا تسمع ما يردده بعض الصغار بانك كنت وراء مرسوم اعلان الاحكام العرفية بحكم صلاتك بكبار ضباط الجيش ؟ انا الان سأبرق الى الجريدة القاهرية التي اراسلها بجميع التفاصيل .

فقال وابتسامته ترتاح على قسمات وجهه :

ـ اسمع يا ابني ، انت بحكم صلتك بي تطلع على الكثير من الاسرار فاياك وان تسمح لنفسك يوما بالكشف عنها ، او حتى التحدث بها .. ولولا انك بمنزلة احسان لما قلت لك ما اقوله الان .. الا ترى احسان كيف يتصرف ، انه يعرف كل شيء ومع ذلك لا ينبس ببنت شفة ، وانا من اجل هذا احبه لا لانه ابني بل لانه وهو فتى يتصرف كرجل .. انتما لا تزالان صغار السن ، وستعلمان قريبا انني على حق ، لان الزبد يذهب جفاء وما ينفع الناس يمكث في الارض ..

هكذا كان الرجل يتصرف ، فهو لم يكن سياسيا بالمفهوم التقليدي المتعارف عليه .. وكان يعرف متى يظهر ومتى يختفي ومتى يضرب .. وكانت ضربته دائما ضربة المعلم .. يشارك في صنع الاحداث وهو يعرف لنفسه قدرها ، ويصمت بحيث لم يكن احد يدري انه هو صانع هذه الاحداث .. طيب القلب وداهية معا ، لا يعرف شماله ماذا فعلت يمينه ، برز كقطب نيابي في فترة يكاد الصراع الحزبي يفتك بالناس والوطن معا ، واستطاع ان يستفيد من الشعور العام الذي يأبى الا ان يسند الاقلية وينتصر لها ، ويأبى الا ان يدعم الاغلبية ولو اخطأت ، لا لشيء الا لانها منه وله .

كان وزيرا في العهود الدستورية فلم ينهج كما نهج اقرانه في الهروب من المسؤولية ، والابتعاد عن المسائل الشائكة ، بل اقتحم هذه وتلك لقناعته بان سيرته وسريرته ومكانته بين الناس اكبر من ان يشوهها حاقد او موتور او ساع لمنعة انية .. لهذا كان اقرانه يخضعون لانتقامات السلطة فيدخلون السجون والمعتقلات ويسلم هو ، لانه ليس لدى السلطة ما يبرر لها ، ولو امام نفسها تعريض الرجل الى ما يتعرض له زملاؤه .. ومع ذلك فان معظم الذين مد اليهم يد المساعدة لم يوفروه من نقدهم .. وكان يواجه اعمالهم الصغيرة بالمزيد من تقديم العون اليهم .

كان وهو في بيته اكبر منه وزيرا .. جاءه يوما احد السياسيين المرموقين يطلب منه مساعدة ، وقد اطلعت بطريق المصادفة ان الرجل جاء طالبا منه كفالة مادية لدى البنك السوري لانه يريد خوض المعركة الانتخابية ولا مال لديه .. وكان جواب الرجل :

ـ اذهب الآن الى بطرس (مقنص) مدير البنك السوري وهو يقدم اليك خمسين ألف ليرة على كفالتي وسأكلمه الآن من الهاتف .

بعد ذهاب هذا السياسي تجرأت وقلت لابي احسان :

ـ اهكذا تكافيء من يفتري على سمعتك ويكتب في الصحف بتوقيع مغفل بأن ارض مطار القامشلي من املاك الدولة و ... و ...

فاجاب وقد اعطى لضحكته المحببة مداها :

ـ لو كان رجلا لهاجمني بتوقيعه ، ومع ذلك انا ضامن بأنك لن تروي لأحد القصة .. اسمع يا ابني الا يكفي انه جاء الي طالبا مساعدته ... لقد رأيت ان اعمل بأصلي ، وهو لا يستطيع الا ان يعمل بأصله .

هذا السياسي نجح في الانتخابات واصبح وزيرا وعمل بأصله حين لم يرد المبلغ .

كانت فترة حكم الزعيم اديب الشيشكلي هي الفترة الاعنف والأقسى في حياة سورية ، ذلك ان هذا الضابط الذي جاء إلى السلطة (بضربة قدر) قد احاط نفسه بمجموعة من الصغار صورت له ان بامكانه حكم سورية وحده بدون أغطية سياسية وعسكرية ، فسار في هذا الطريق ، وكان من الطبيعي ان ينقطع عن الرجل الذي كان له الفضل الأول في ايصاله الى منصب رئيس مجلس العقداء . كما كان من الطبيعي ان ينقطع الرجل عنه رغم الوساطات والاتصالات الشخصية التي كانت تتم بعيدا عن الانظار ... وكم من مرة رأيت الزعيم اديب الشيشكلي يأتي الى منزل الرجل بأبي رمانة تحت جنح الظلام ليطلب منه بالحاح البقاء الى جانبه ، وكان الجواب الذي يسمعه الرجل :

ـ لا أستطيع لأنك أخترت بنفسك الطريق المسدود ، واغلقت بنفسك النوافذ التي قد تأتي منها رياح الانقاذ .

في هذه الأثناء عقد مؤتمر وطني في حمص ضم كل الفئات المناوئة لحكم الشيشكلي ، وقد يجهل الكثيرون ان الرئيس الجليل هاشم الاتاسي ما كان ليوجه الدعوة الى هذا المؤتمر لولا ان اتصل مسبقا بأبي حسان واستمزجه رأيه فكان جوابه :

ـ على بركة الله يا فخامة الرئيس فنحن معك طالما انك قانع بصوابية خطوتك ، وكل ما ارجوه ان يتعلم الأخوان الذين تعرف من الدروس التي مرت بهم .

لم يكن اتصال الرئيس الجليل بالرجل من اجل ابحاث المؤتمر ، بل من اجل الاتفاق مسبقا على ما بعد اديب الشيشكلي ، ذلك ان الاطاحة بالشيشكلي كانت شبه مؤمنة . وقد بقي الرجل في دمشق لتأمين الغطاء العسكري للمؤتمر الوطني ... ولعلي لا اتيح سرا اذا ذكرت هنا بأنه كان هناك خطة انقلابية معدة لقتل اديب الشيشكلي مع تسعة من اعوانه قبل التفكير بمؤتمر حمص بأسابيع . وقد جاء قادة هذه الخطة الى الرجل يطلبون منه الموافقة على الوقوف الى جانبهم بعد تنفيذ عملية القتل ، فكان جوابه :

ـ كيف تريدون موافقتي على قتل اناس حرم الله قتلهم الا بالحق . فأي حق يسمح لكم بقتل اديب الشيشكلي الذي هو رغم اخطائه لم يتصرف تصرفا يؤذي وطنه ؟ فلولا تلك الشلة الحمقاء التي احاطت به لقدم هذا الضابط لبلده الكثير ... ثم ان الانقلاب لا يحل المعضلة ، بل يزيدها تعقيدا ، فكيف بالقتل ؟

جاءت ام كلثوم الى دمشق لتحتفل بالوحدة ، والصورة يتوسطها صبري العسلي بين عبد الباقي نظام الدين وزهير المارديني

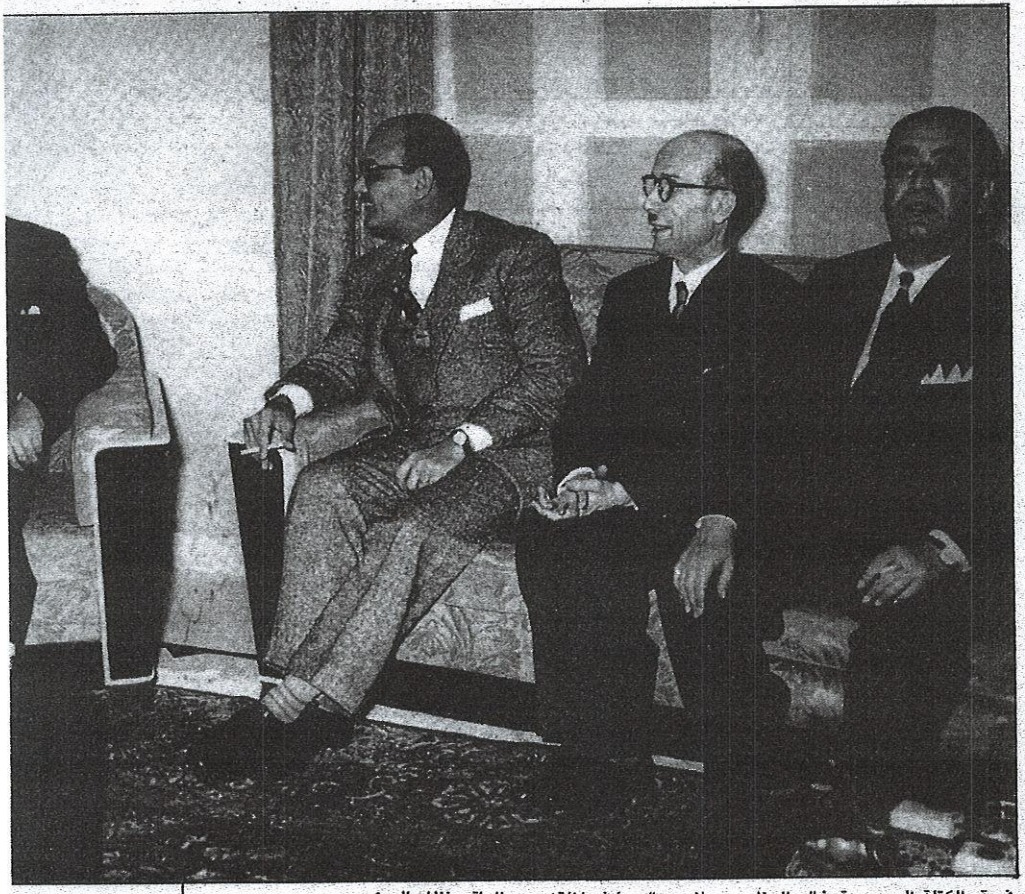

في مقر الكتلة الجمهورية خالد العظم ، صلاح سالم رئيف الملقي عبد الباقي نظام الدين

تم الا تعلمون انكم اذا قتلتم الشيشكلي فانكم ستعرضون انفسكم للقتل بدوركم ، الا يكفيكم دماء فلان وفلان ... وأرى الآن افساح المجال امام مؤتمر وطني يعقد لجعل عملية اقصاء الشيشكلي تتم بتأييد شعبي وشرعي .

وكانت هي المرة الأولى التي يسمح بها الرجل لنفسه بالاقضاء بسر مؤتمر حمص .

كان الرجل يوقدني الى هنا وهنالك في مهمات تتعلق بالخطة المرسومة لانجاح مؤتمر حمص . ولولا انني اخاف من ان يتهمني باقشاء الاسرار لذكرت الكثير مما اعرفه عن قصة اختيار الشيشكلي رئيسا لمجلس العقداء ، وقصص اخرى تتناول هذا الضابط الذي برز ، وذاك الضابط الذي اختفى ، وذاك السياسي الذي ادعى كذبا بأنه وراء سفر اديب الشيشكلي ..

والرجل الذي اعنيه هنا تولى رئاسة الوزارة اكثر من مرة وتولى الوزارة مرات ، وكان يقبض من اليمين والشمال ، ويلعب على الحبلين ويشرب من السبطلين ... ومع انه كان يتظاهر بأنه خصم للشيشكلي فانه في الحقيقة كان يمد خيطا تحت الأرض مع الشيشكلي عله يكلفه بتأليف الوزارة بعد فشل مؤتمر حمص ، وهذا السياسي الذي يسبح الآن بالمال الحرام كان يختفي وراء معظم المصائب التي حلت بسورية ، ولو ذكرت اسمه لفجع الكثيرون ممن يعتقدون انه داهية ، وانه عالم ، وانه ديمقراطي ... وبعد هذا نتساءل كيف انهار هذا الصرح الديمقراطي بمثل هذه السهولة ؟

كدت والله ان اذكر اسمه لولا خوفي من غضب الرجل .

ذهب اصدقاء (أبي حسان) من العسكريين الى الزعيم اديب الشيشكلي ورجوه ان يسمح رسميا بعقد مؤتمر حمص ، وقد تعهدوا له بأن المحافظ (سعيد السيد) سيضمن النتائج الأمنية وحدها دون النتائج السياسية ، اذ ما قيمة مقررات تتخذها مجموعة من السياسيين لا يملكون بندقية واحدة .

قال الشيشكلي :

ـ من يضمن لي هذا ؟

وجاءه الجواب : صديقك ابو حسان . فهو صديقك رغم ما بينكما من خلاف ، وصديق المحافظ سعيد السيد ، وصديق قائد منطقة حمص الوسطى العقيد محمود شوكت . وتم السماح بعقد المؤتمر .

اذكر ذلك ولا انساه .

بعد ارقضاض مؤتمر حمص كنت بجانب الرجل في منزله أبلغه خبرا من ضابط كبير يتعلق باقتناع المجموعة العسكرية التي خططت للقيام بانقلاب على الشيشكلي بالتريث الى حين تتضح نتائج مؤتمر حمص ... وكان الرجل سعيدا بهذا النبأ الى ابعد الحدود ، فقد كان يكره حتى اعماقه العنف ، واقتتال الضباط ، وكان يريد ايصال النبأ الى الرئيس الجليل هاشم الاتاسي الذي كان يتصدى بشيخوخته الى كل الحراب المشرعة ، حراب بعض السياسيين ، وحراب العسكريين ، وقد وصل النبأ وقتها بطريقة اختارها الرجل بنفسه .

قبل ان اودع الرجل رن جرس الهاتف فتناول احسان السماعة وسرعان ما اعطاها الى ابيه قائلا :

ـ الزعيم اديب الشيشكلي على الخط .

كان صوت الحوار واضحا على الطرفين ، وقد حاولت الخروج تأدبا فأشار إلي بيده ان ابقى .

ـ مساء الخير ابو حسان ... هنا ابو احسان يتكلم (الشيشكلي كان يكنى بابي حسان ايضا) .

ـ اهلا ابو احسان ...

كيف حال ابي حسان ؟

ـ وانت كيف حالك ابا حسان .

اين هم الآن؟

ـ نحمد الله بخير ..
ـ هل وصلتك اخبار مؤتمر حمص ؟
ـ وصلني بعضها ...
ـ لقد اخلفوا بالتعهد واوسعونا سبا !
ـ لا ... لا اعتقد فالمؤتمرون كما بلغني لم يتعرضوا لشخصك ، وانما بحثوا في القضايا العامة ، والحوا على ضرورة عودة الدستور والحكم النيابي ..
ـ اسأل سعيد اسحق (رئيس مجلس نواب الشيشكلي ، ومن النواب الذين كانوا ينجحون في قائمة الرجل) .
ـ سعيد اسحق لم يحضر المؤتمر ، والذين اخبروه ارادوا اثارتك .
ـ هل تعلم ماذا قرروا بحقنا ؟
ـ الموقف مكشوف ، القرار بالتأكيد ليس الى جانبك اذا لم تبادر الى تغيير اسلوبك في الحكم . كان بامكانك عدم الوصول الى ما وصلنا اليه ... الله يسامحك ... لقد احطت نفسك ببطانة جلبت اليك والى سورية الأذى !

ـ اريد ان اراك حالا لنتكلم مطولا .. هل تأتي الآن ؟
ـ انا مسافر الى القامشلي ، وبعد عودتي سازورك ان شاء الله ..
ـ تصبح على خير ، اعطيني احسان لأسلم عليه ..
ـ مع السلامة ..

وانتهت المكالمة ، وسافر الرجل بعد ان اوصاني ببعض المهام ، وطلب الى ابنه احسان عدم الذهاب الى منزل اديب الشيشكلي كما طلب منه .

غادرنا الرجل الى حمص وحلب والقامشلي لينهي بنفسه قضية سفر الشيشكلي ، بعد ان احس ان هذه القضية ستتعقد لوصول تفاصيل ما جرى في مؤتمر حمص الى رئيس الجمهورية . ان الذين كتبوا عن هذا الموضوع سواء كانوا عسكريين او سياسيين قد اغفلوا عن عمد القصة الحقيقية التي دفعت بالشيشكلي الى السفر رغم قدرته العسكرية التي كانت متوفرة للبقاء والتصدي لخصومه .. فبعد ان اقتنعت معظم القيادات العسكرية بعدم جدوى التمسك بالشيشكلي ، بقي هناك موقف غامض لم تتضح معالمه وهو موقف العقيد محمود شوكت آمر المنطقة الوسطى بحمص والذي لديه قوة عسكرية ضخمة بامكانها اذا تدخلت ان تقلب جميع المخططات . فقد كان هناك شك كبير في اقدام هذا الضابط على التنكر لاديب الشيشكلي الذي التقطه بيديه التقاطا ودفعه الى تولي المناصب الكبرى (مديرية الشرطة والأمن العام) ثم (آمر المنطقة الوسطى) المنطقة التي تتجمع فيها ثاني قوة ضاربة في الجيش السوري بعد قوة الحدود الجنوبية .

كان الشيشكلي يحسب حساب جميع الضباط ماعدا هذا الضابط الذي لولا الشيشكلي لكان مجرد ضابط عادي مهمل لا يثق باخلاقه احد ولا يحبه احد ... وكان الشيشكلي يعتقد ان محمود شوكت أصغر من ان يتآمر ضده ، واقل من ان يحسب له اي حساب .

وفي ليلة من ليالي آذار ١٩٥٤ كان مكتب العقيد محمود شوكت بحمص يغلق ابوابه بعد ان استقبل الرجل الذي يعرفه كما يعرفه الشيشكلي واكثر ، ومعه ضابط كبير آخر .

ـ اطلب الزعيم اديب الشيشكلي وانصحه بمغادرة دمشق حقنا للدماء (وحسابك بعد ذلك سيكون معي ... اننا لن ننسى لك هذا الموقف يا محمود) .

لم يكن امام محمود شوكت سوى الامتثال ، فالذي يطلب منه هذا الطلب هو الرجل الذي انقذه اكثر من مرة ، والذي ساعده مرات ، وهو يعلم انه اذا رفض فسيرمي مستقبله في المجهول ... امسك محمود شوكت سماعة الهاتف بيد مرتجفة وتكلم مع الشيشكلي بصوت متهدج ، و« نصحه » بترك دمشق لأن المنطقة الوسطى قررت عدم تنفيذ الأوامر الصادرة اليها من دمشق ..

رد الشيشكلي على ربيبه بعبارات جارحة واغلق سماعة الهاتف وقرر ان يترك الحكم رغم ما كان لديه من قوى عسكرية جاهزة في دمشق تمكنه من المقاومة لو شاء ... لقد كانت (نصيحة) العقيد محمود شوكت القشة التي قصمت ظهره ... لقد عز عليه تلقي الطعنة من اقل الضباط شأنا ، وردد الشيشكلي بينه وبين نفسه الحديث الشريف (اتقوا طعنة الجبان فانها انفذ للقلب) .

تكاد تمضي على هذه الحادثة أكثر من ربع قرن ، ولم يذكرها احد حتى الآن من هؤلاء الذين اكلوا وشربوا من المائدة التي بسطت بعد سفر الشيشكلي ، لأن مجرد ذكرها يكشف للناس مدى ولوغهم في الأكاذيب التي اوصلت سورية الى شفير الهاوية .

هكذا كان الرجل يعمل بالستر ، ولا يهمه من عمله سوى ارضاء الله ... لقد ورث ثروة حقيقية فلم يسأل نفسه عن نزواتها ليرضيها ، وانما شق طريق الواجب بمفهومه الخاص (الآدمي) . لم يكن في اخلاقه جشع ، وكان يريد ان يثبت لاقرانه ان السياسي (الآدمي) يمكنه ان يعيش في غابة الأحداث دون ان تنال منه هذه الأحداث ، ومن سمعته .

كان بعض السياسيين تجري في دمائهم الخديعة ، والكذب ، والمكر ، ولكن الرجل اختار ان يكون (آدميا) في وسط عزت فيه (الآدمية) .

انهى حياته السياسية فور قيام الوحدة بين مصر وسورية ، فقد كان وزيرا في الحكومة التي اعلنت الوحدة ، وحين جاء الانفصال بخيله ورجاله لزم الرجل داره ... وكم كنت أسعد بالجلوس الى جانبه في منزله بأبي رمانة ، وفي الصالة الواسعة التي شهدت اضخم احداث تاريخ سورية الحديث . وطالما تطلعت الى اثاث الصالة النظيف التي شهد الأزمات المتعاقبة ... ان كل مقعد من تلك المقاعد يستطيع ان يروي قصة مضحكة ومبكية معا .. ويحكي ازمة نقلت الى الناس (مقلوبة) .. هنا كان يجلس الزعيم اديب الشيشكلي ... وهناك كان المقعد المفضل لخالد العظم و .. و .. وفي هذه الصالة كانت الأسرار تتدحرج كالأكر على الأرض ولم يكن مسموحا لأحد التقاطها والمتاجرة بها .. وفي هذه الصالة اردت ان اعرف منه سر عزوفه عن الاشتراك في العمل السياسي في اثناء الوحدة وبعد الانفصال رغم العروض المغرية التي قدمت اليه ، ومنها اغراءات معينة لا يمكن لأي زعيم سياسي ان يرفضها ، فقال لي :

ـ لقد حرصت طيلة عملي السياسي على ابقاء الجيش السوري منيعا حصينا ، واليعد به عن التمزق ، ذلك ان اساس قضيتنا الوطنية ان يبقى الجيش متماسكا ، ولكن الأمور وفق اجتهادي الخاص لا تبشر بخير .. لم نتعلم من المحن والأرزاء . بل على العكس تمادينا في اقتراف الاخطاء القاتلة ... لقد رخص الحكم حتى وصل الى من تعرف ... وهذا عنوان على ان الجميع سيدفعون الثمن باهظا ...

هذا بعض ما يسمح لي الأدب بذكره من احاديث الرجل ، ففي هذه الصالة استطعت ان اعرف الرجل عن قرب .. وافهمه اكثر مما كنت افهمه في الماضي القريب ... لم يكن سمحا كما كان يبدو للبعيدين عنه ، وان كان قد وضع في رأسه آراء ثابتة عن الناس لا تتغير ، فالسياسي في نظره اما وطني او غير وطني ، وليس لديه رجل وسط بين الرجلين ، والساسة لديه اشبه بالتلاميذ اذا سقط واحد منهم في امتحان عقده له فلا امل ان ينجح في دور ثان .

كان واسع الافق في السياسة العامة ، بينما ان كثيرين كانوا يتهمونه بالضيق ، ولكنه ضيق بتعبير الذين سقطوا على الدرب ..

قال لي :

ـ هل تذكر صديقك فلان الذي جئتني به يوما وطلبت مني تعيينه في وزارة الاشغال العامة ، رغم المعارضة العنيفة التي كان يلقاها مثل هذا التعيين ؟ ألم اقل لك يومها انك مخطىء وانك ستدفع الثمن ، فلم تصدقني ، وامعنت في عنادك ، وقد سايرتك خوفا على شعورك .. فانا اعلم اسباب حماستك لهذا التعيين ، ليس من اجل الشاب الذي سيكون وبالا على بلده بل من اجل والده الذي كنت تعتبره كوالدك ... سامحك الله .. فانت لا تعرف ماذا سبب لي هذا التعيين من مشاكل ... لقد حملت مرسوم التعيين وذهبت به الى رئيس الجمهورية وطلبت منه توقيعه ، هل تعلم ماذا قال لي رئيس الجمهورية ؟ الأفضل ان لا تعرف لانك ستفجع مرتين ، مرة لانك تجهل حقيقة الناس ، واخرى لانك لا تعرف ان السلطة لديها الكثير من المآخذ الوطنية على سلوك هذا الشاب وعلاقاته ببعض الأوساط المشبوهة وطنيا ... قلت له وقد انسابت دموعي بالرغم مني :

ـ المهم ان والد هذا الشاب الذي كان يمر في محنة حقيقية قد لاقى وجه ربه وفي عنقه دين لك :.. الا يكفي هذا ؟

كلما تذكرت حكاية هذا الشاب احسست برغبة حقيقية في حمل القلم ، وتطلب مني ان اكتب ... وامسك القلم بيدي واحاول ان اكتب ... ولكني لا اكاد اخط السطر الأول حتى اعود وامسك عن الكتابة ... واقرأ محصول ما كتبت فاذا به لا يزيد على كلمتين اثنين :

الطيبون يفشلون !

وهكذا صدقت فراسة (الآدمي) الكبير ، اما الطيب فهو لا يزال على طيبه ، وحسبه من هذا انه لايزال يستطيع انصاف الرجال (الأوادم) .

> لم نتعلم من المحن ، بل على العكس تمادينا في اقتراف الأخطاء القاتلة ، ولقد رخص الحكم حتى وصل الى من تعرف !